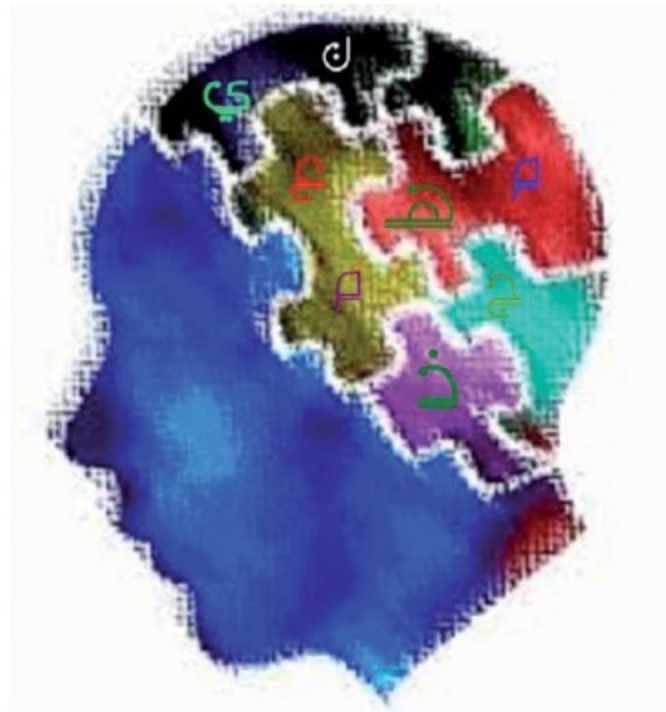


المعجم الذهني واللغة العربية



المؤلفون:

د. مصطفى بوعناني، ود. بنعيسى زغبوش، ود. إسماعيل علوي

منشورات مختبر العلوم المعرفية
سلسلة كتب (6) / 2015

المعجم الذهني واللغة العربية

مؤلف موجه لطلبة اللسانيات وعلم النفس
من سلكي: الإجازة والماستر، والباحثين في الدكتوراه

“بعد الانشغال بقضايا ”المعجم الذهني“، والاشتغال عليه بثوابت معرفية يتقاطع بموجها العتاد اللساني الذي يشكل مضمون ما يتألف منه، والعمق السيكلوجي الذي يوجه مسلك وسيرورة فهم انتظامه في الذهن، وانبنائه فيه... أهم توجهات اللسانيات والسيكلوجيا المعرفية الحديثة. إنه المزرع العلمي المعرفي الذي تبرره أبعاد الإدراك الجيد لإنتاجية اللغة، والفهم الصحيح لمسارات وسيرورات استعمال مكوناتها المعجمية في السياقات التواصلية اللغوية: إنجازا وإدراكا.

يعتبر هذا المؤلف، بما يقيمه من تفاعل عميق وضروري بين اللسانيات والسيكلوجيا ضمن إشكالية معالجة اللغة ذهنيا، والنظر في قضايا المعجم الذهني: مكونات، وانتظامات، ومسالك نفاذ دقيق لمحتوياته وسيروراتها... مرجعا علميا، وتعليميا لطلبة اللسانيات وعلم النفس من سلكي الإجازة والماستر؛ ووعاء معرفيا بأبعاد نظرية ومنهجية، تتجاذب فيه أسئلة بحث متنوعة يمكن أن تشكل بدرجات متفاوتة من العمق والتنوع، موضوعات مهمة للبحث في مستوى الدكتوراه أيضا، كما يعتبر مرجعا لكل المهتمين بالعلوم المعرفية والباحثين فيها.

كلمة المؤلفين:

د. مصطفى بوعناني، ود. بنعيسى زغبوش، ود. إسماعيل علوي

مقدمة في المعجم الذهني واللغة العربية

د. مصطفى بوعناني، د. بنعبس زغيوش، د. إسماعيل علوي

جامعة سيدي محمد بن عبد الله

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهرز - فاس

مختبر العلوم المعرفية، فاس، المغرب

يناقش هذا الكتاب/المؤلف إشكالية العلاقة القائمة بين المعجم الذهني واللغة العربية.

انطلاقاً من سؤال محوري أساسي: كيف تُعالج اللغة العربية في الذهن؟

ولئن كان مفهوم "المعجم الذهني" قد عرف تحولات في مضامينه التي تطورت بتطور الدراسات التي انصبّت على بنيته وآليات اشتغاله، فإن "الكلمة": ماهيةً ومفهوماً ظلت تشكل في الدراسات اللسانية، وبين المهتمين بقضايا اللغة، موضوع نقاش وسجال علميين امتد في عمق نماذج نظرية متعددة، ولفترات زمنية متلاحقة جراء الخصوصيات متعددة الأبعاد التي تسم هذا المكون اللساني المهم، وتجعله في صلب انشغالات صوتية، و صرفية، ومعجمية، ودلالية، وتركيبية.

لقد بدا من الصعب غالباً -وفق ثوابت منهجية وإجرائية لسانية متنوعة- الحسم في المستوى اللساني الذي يمكنه التفرد بمعالجة "الكلمة": انبناء، وانتظاماً، واشتغالاً... وهو ما يؤكد تفاعل عناصر الكلام وتكاملها في مدارج تأليف الأبنية، وتكوين الخطاب على نحو من التتابع الحر تارة، والتوزيع المفيد تارة أخرى.

ولأن مفهومي "المعجم الذهني" و"الكلمة" مركبان ومتداخلان، فإننا نتصور منذ بداية طرح مضامين هذا الكتاب، العلاقة المعقدة التي تناقشها إشكالية هذا المؤلف. وبالنظر أيضاً إلى أن بيان هذه العلاقة موسوم ببعده المعرفي، فإن تعدد تخصصات معالجته ذهنياً، يحتم استحضار أطر مرجعية متعددة وتخصصات مختلفة لمناقشته، من مثل السيكلوجيا، واللسانيات، وعلوم الأعصاب، والسيكولسانيات، وغيرها. إنه الأمر الذي يضفي أهمية خاصة على هذا المؤلف.

ولئن كانت ثلاثية: الشكل الفونولوجي للكلمة وشكلها الإملائي ومعناها، تمثل مداخل المعجم الذهني، إما مجتمعة أو في اقترانات ثنائية بينها؛ فإن تبني موقف نظري منها يقود إلى اختلاف النماذج التي تبلورت بخصوصه، وفقا للمرجع النظري الذي يتبناه كل باحث. وعليه، فإن النفاذ إلى المعجم الذهني وفقا لشكل الكلمة الفونولوجي أو شكلها الإملائي، يهدف استحضار معناها، ومدى توسط الشكل الفونولوجي بين الشكل الإملائي والمعنى، يعتبر أيضا من الإشكالات النظرية والمنهجية التي تبلورت في تصورات المعجم الذهني؛ إضافة إلى البعد المتمثل في ضرورة توفر معنى الكلمات أو عدم توفره في التعرف على الأشكال الفونولوجية أو الإملائية. كما أن النفاذ المتسلسل أو المتوازي للكلمة شكل بدوره جزءا هاما من هذه التصورات.

لقد اقترنت المقاربات السالفة -وجوبا- بالتقنيات التجريبية التي استعملها الباحثون لدراسة تنظيم المعجم الذهني وسبل النفاذ إلى محتوياته. ولئن كان النفاذ إلى المعجم الذهني يتأثر بتكرار توارد الكلمات في اللغة، وطولها، وانتظام بنائها... فإن المهام التجريبية التي وظفت للكشف عنها قد تعددت بتعدد التصورات النظرية والمنطلقات التجريبية، من مثل القرار المعجمي والتفسيء الدلالي، والتعرف على الكلمات أو الأشياء وتسميتها، وغيرها، وأفضت إلى نتائج متقاطعة أحيانا ومتعارضة أحيانا أخرى.

إن تقاطع نتائج الأبحاث حول تنظيم المعجم الذهني وسبل النفاذ إليه، خضعت أيضا لمتغيرات أخرى ثقافية، لعل أهمها، طبيعة اللغات المستعملة في الدراسات السابقة، خصوصا الانجليزية والفرنسية... بالنظر إلى طبيعة خصوصية بناء الكلمة في كل لغة من اللغات. وفي هذا الباب بالضبط، يعمل هذا المؤلف على رصد خصوصية اللغة العربية: نطقا وكتابة، في محاولة منا لرصد تأثير البناء اللغوي العربي على تنظيم المعجم الذهني والنفاذ إليه، وفي محاولة منا أيضا لتحديد بعض المقتضيات العامة التي تشترك فيها اللغة العربية مع لغات أخرى، أو المقتضيات الملازمة تحديدا للغة العربية، والتي تستمد منها من خصوصياتها النطقية، والنحوية، والصرفية، والإملائية وغيرها.

وعلى هذا الأساس، جاء هذا المؤلف لتوضيح بعض أوجه هذا الموضوع، موزعا بين ثلاثة محاور أساسية، متكاملة على مستوى سياق التحليل الذي يتخذ اللغة العربية أساسا للمقارنة، ومنسجمة على مستوى الخلفيات النظرية التي تعتمدها نماذج المعجم الذهني، وأيضا على مستوى الإجراءات المنهجية والمقتضيات التجريبية المعتمدة في هذه الدراسات؛ لكنها تتمايز على مستوى التخصصات التي تتخذ من العلوم المعرفية عمقا نظريا لها، من مثل: اللسانيات، وعلم

النفس، وعلوم الأعصاب، والسيكولسانيات... ويمكن إجمال هذه المحاور الثلاثة فيما يلي:
يعالج المحور الأول، ارتباطا بالإنجاز اللغوي العربي، مسارات النفاذ إلى المعجم الذهني من وجهة نظر لسانية معرفية تتأسس على إثارة قيمة المكونات الصرفية في تنوع أساليب إنتاجية المعجم العربي، ووسمه بخصوصية تنظيمية مميزة؛ حيث تتحدد معالم هذا المسعى في التركيز على ثوابت نظرية معرفية بمظهرين اثنين: مظهر خاص بالمعلومات (الصرفية بالخصوص)، ومظهر خاص بالمعالجة الذهنية لهذه المعلومات على نحو مخصوص. وهو ما يجعل من أمر النفاذ إلى المعجم الذهني عمقا إجرائيا لما يحدث في كل عملية إنجازية للغة؛ حيث توافق شروطاً تَمْظُهره أبعاد تنظيم الوحدات المعجمية في الذهن، وتخزينها فيه. وحيث يُمكن لتعدد مسارات النفاذ إلى المعجم تثبيت قيمة التنشيط الصحيح للعنصر المعجمي الملائم من مجموع العناصر المعجمية الأخرى المخزنة في ذاكرتنا داخل السياقات المختلفة للإنجاز اللغوي.

أما المحور الثاني، فيناقش إشكالية النفاذ إلى المعجم الذهني وفق بعض قيود بناء الكلمة في اللغة العربية، من وجهة نظر سيكولوجية معرفية، باسطة عرضا تركيبيا لبعض نماذج النفاذ إلى المعجم الذهني، وكذا أهم البراديجمات التجريبية المرتبطة بها؛ ومحاولا التحقق من بعض النتائج المتمخضة عنها، من خلال دراسة ميدانية عمادها اللغة العربية، بغية الكشف عن خصوصياتها في النفاذ إلى المعجم الذهني وتنظيمه.

وفي المحور الثالث، وباعتماد مقارنة تزاوج بين السيكولسانيات والسيكولوجيا المعرفية، تحديد لمختلف الاستراتيجيات التي يوظفها الطفل المغربي، في فهمه للجملية المبنية للمجهول وإنتاجه لها، وحكمه عليها، وإدراكه لمكوناتها وعناصرها، وفي إنجاز مهام التحويل وإصدار الأحكام حولها بالترادف أو التضاد. حيث يسعى، من خلال مقارنته للتمثلات الدلالية الواعية للطفل غير الممدرس والطفل الممدرس، ومعرفة سيرورات اكتسابهم للمعارف وتغييرها من حالتها البدائية البسيطة إلى حالتها الناضجة والمعقدة، إلى المساهمة في إيجاد العلاقة التي تجمع بين النمو والتعلم، بين الوعي اللساني والاكتساب اللغوي، وإلى البحث عن أرضية مشتركة تجمع بين علم النفس المعرفي وعلم النفس التربوي.

إن ما يميز هذا المؤلف العلمي، هو مزاجته محاورة العامة بين استحضار الدراسات السابقة في الميدان، والتأكد من بعض نتائجها بشكل عملي من خلال دراسات ميدانية، أو من خلال بناء نموذج صوري يرصد المقتضيات اللسانية العربية التي تؤثر على بناء المعجم الذهني وتنظيمه وسبل النفاذ إليه. ولم يكتف هذا المؤلف بالنظر إلى بناء الكلمة في ذاتها، بل حاول رصد تأثير تجاور العناصر المكونة لها، وكذا تجاور الكلمات فيما بينها (أي الجملة) على بنية المعجم الذهني وآليات اشتغاله.

إن النتائج المتمخضة عن الدراسات التي أثنتنا بها هذا المؤلف، تؤكد وجود خصوصيات في النفاذ إلى المعجم الذهني، ارتباطا بقيود معالجة اللغة العربية ذهنيا. ورغم ذلك، تتشابه اللغة العربية مع لغات أخرى على مستوى بعض مقتضيات النفاذ إلى المعجم الذهني، وكأننا بصدد وجود ماهية عميقة للغة تتشابه فيها كل الأنساق اللسانية، وبنية سطحية تميز كل لغة عن لغة أخرى. وبذلك، يمكن الجزم بوجود تقاطعات مع دراسات غربية في هذا المجال، ووجود خصوصيات أيضا بالنسبة للنفاذ إلى الكلمات المكتوبة باللغة العربية.

وقد يكون أيضا للاستراتيجيات الفردية التي يستعملها كل متكلم في معالجة اللغة، تأثير على الاختلافات التي قد توجد حتى على مستوى معالجة اللغة ذاتها. إن هذه الخلاصة الأخيرة هي التي تمنح بعدا تربويا لهذا المؤلف. فبالنظر إلى ما نلاحظه من مشاكل تتعلق بصعوبات القراءة والكتابة في اللغة العربية لدى الطفل المتعلم، حاولنا الاستفادة من نتائج الدراسات التي قدمت في هذا المؤلف تربويا، لطرح بعض الحلول التي قد تساهم في تيسير عملية تعلم اللغة العربية في المدارس المغربية إن أحسنت أجرأتها، سواء أثناء النفاذ إلى الشكل الفونولوجي للكلمة، أو شكلها الإملائي، أو معناها.

المؤلفون

فاس: 2015/06/15